الجامعة المستنصرية

كلية الآداب المادة : مناهج المفسرين

قسم اللغة العربية

مقدمات في مناهج المفسرين

الحمد لله ربّ العالمين أولاً وأخراً على نعمة الاهتمام والاشتغال بالقرآن وعلومه ، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين المُوحى إليه الكتاب المبين، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه المنتجبين ..أما بعد :

فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز المنزل وحياً على النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) المكتوب بالمصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته.. فمحتوى القرآن هو كلام الله، وقد أختار الله سبحانه وتعالى الكلام ليكون أساس معجزة نبيه الكريم ، وهذا منبثق من واقع المجتمع المرسل إليه ، فهم العرب الذين عُرِفوا بصنعة الكلام والبلاغة والفصاحة ، وهذا ديدن الرسالات السماوية ، فموسى (عليه السلام) أُرسِل إلى فرعون وقومه فكانت معجزته وآيته السحر ، وعيسى (عليه السلام) كانت معجزته الطب ، وكلاهما كانت آية نبوءتهما تنبثق من واقع مجتمعهما ، ولأن الله سبحانه وتعالى أراد لنبيه محمد أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين جعل معجزته خالدةً باقيةً ببقاء السموات والأرض ، وإلى يوم يبعثون ، لأنّ الكلام بمعناه لا بلفظه ، والمعنى يبقى والمادة تزول ، فكانت المعجزة بلغة العرب وعلى أساليبهم فب الكلام ، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " (إبراهيم ٤) فكان الرسول هو المعلّم الأول لقومه ،إذ أنّ البحث في تفسير القرآن بدأ منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن عن طريق الوحي على قلب نبينا الكريم .

إنّ القرآن الكريم _ بوصفه طريقاً معرفياً إلى الله تعالى _ يهدف بصفته الكلية إلى تحقيق البعد المعرفي الغائي الكامن في معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنّ هذه المعرفة الغائية انبسطت في النص القرآني ابتداءً من بائه إلى سينه (إشارة إلى باء البسملة وهو أول حرف في القرآن ، وسين الناس وهو آخر حرف في القرآن) بعبارة أخرى أنّ القرآن الكريم ليس كتاب هدايةٍ فحسب أو دستورٍ لحياة مدنية ، بل هو أيضاً قد وضع في سلّمه المعرفي كمّاً كبيراً من المفاتيح المعرفية على صعيد التحقيق والتحقق معاً ، لتحقيق هدفه المعرفي الغائي الذي تكتمل به الرؤية الكونية الإلهية التي لا تنفك أبداً عن المعطيات المعرفية القرآنية ، والقراءة القرآنية يصعب الوصول إليها من دون العملية التفسيرية ، وبذلك تتبلور لنا أهمية علم التفسير في فهم النص القرآني.

وكان الرعيل الأول من المسلمين يفهمون القرآن في جملته ، أي بالنسبة لظاهره وأحكامه ، أما فهمه تفصيلاً ، ومعرفة دقائقه بحيث لا يغيب عنهم منه شيء ، فقد تفاوتوا في ذلك ، بسبب اختلافهم في العلم بلغتهم ، وبمعرفة أسباب النزول... فكانوا يرجعون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما لم يفهموه فيفسره لهم .

ومعنى التفسير الايضاح والتبيين ومعناه أيضاً الكشف ، يقال :فَسَرَ الرجلُ عن ذراعه ، إذا كشف عنها ، ويقال : أسفرت المرأة عن وجهها ، إذا كشفته ، فهي سافرة ، فتفسير القرآن هو الكشف عن معاني القرآن وبيان المراد منه والفهم السليم والتحليل الشرعي للآيات والسور ضمن سياق لغوي يفهمه الجميع من دون تغييب للمعاني الظاهرة والباطنة في اللفظ القرآني وتقوم على تفسير القرآن أصول الشريعة والدين ، فالقرآن مصدر التشريع الأول وعليه أساس الدين .

الغاية من علم التفسير البحث عن مُراد الله تعالى من قرآنه المجيد ، فالموضوع هو القرآن والهدف هو الفهم والتوضيح ، والكشف عن المعاني التي جاء بها القرآن ، وهذا البحث بدأ منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن وأستمر ، وهذا بالشكل الطبيعي سيُولّد العديد من المناهج والاتجاهات ، ومن هنا نجد أنّ علماء التفسير ، وأنّ أولئك الذين تصدوا لحركة التفسير منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا كلٌّ منهم إذا أراد أن يتكلم في فهم كلام الله تعالى وتفسيره ومراد الله تعالى ، يذكر القواعد والأسس لفهم كلامه جلّ وعلا .

ولابدّ لكل علم من منهج ، أي : طريقة بحث وطريقة استدلال ، وتتعدد الطرق والمناهج بحسب شخصية الباحث والموضوع الذي يروم بحثه ، فهي طريقته التي يعتمد عليها بالاستناد على مجموعة من الأدوات والشروط للوصول إلى الفهم والبيان للآيات ، فالمنهج هو طريقة الاستدلال المعتمدة للوصول إلى المطلوب ، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أننا عندما نتحدث عن منهج ، هذا لا يعني أننا نتحدث عن منهج كامل، وإنما هذا المنهج يتناول جنبةً معينة أو جزءاً معيناً ، والمنهج الكامل هو الذي يستخدم أكثر من منهجٍ معتمدٍ في تفسير القرآن ، فتعدد المناهج بتعدد الطرق ، فمن المفسرين من أعتمد على القرآن في تفسير القرآن ، ومنهم من أعتمد على الروايات المأثورة عن الرسول والأئمة والصحابة والتابعين ، ومن من جعا العقل والرأي منهجاً له ، أو أتخذ اللغة والنحو والبلاغة والأدب مفاتيح لتفسيره.

وهناك اتجاهات حديثة في تفسير القرآن جاءت لتواكب التطور الحضاري والنشاط العلمي المستمر، كالتفسير الموضوعي والتفسير العلمي والتفسير السياسي والتفسير التربوي وغيرها من المناهج الحديثة .

لهذا فالقرآن كتاب القرون والأجيال لا تنقضي عجائبه ، بل هو جديد ما دامت السموات والأرض ، لأنّ الله لم يجعله لزمانٍ دون زمان ، ولا لناسٍ دون ناس ، وهو في كلّ زمان جديد وعند كلّ قوم غضٌّ إلى يوم القيامة ... فهذا القرآن وهذا تفسيره وتلك مناهجه .